الإحسان وسلامةُ الاجتماع
الإنفاق المعنويّ أساسُ كلِّ إحسان

العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي قدس سره

هذا النّصّ نموذجٌ من أبحاث تفسير القرآن بالقرآن، وفقَ منهج العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله، في كتابه النّوعيّ «الميزان في تفسير القرآن»، حيث يُبيّنُ مرادَ الآيات من خلال السّياق الذي وردتْ فيه، ومثيلاتِها في ثنايا الكتاب المجيد.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٠-١٣٨.

هذه الآيات التِّسع -خاصّة- فيها ترغيبٌ وتحذيرٌ؛ فهي تُرَغِّبُ المؤمنين للمسارعة إلى الخير، من خلال:

١- الإنفاق في سبيل الله في السَّرّاء والضَّرّاء.

٢- كَظْم الغَيْظ.

٣- العفو عن النَّاس.

وهذه الثّلاثة، يَجمَعُها بثُّ الإحسانِ والخيرِ في المجتمع، والصَّبر على الأذى والسُّوء، والصَّفحُ عن الإساءة، فهذه هي الطَّريقة الوحيدة الّتي تُستحفَظُ بها حياة المجتمع ويُشَدُّ بها عَظْمُه، فيقوم على ساقٍ.

ومن لوازم هذا الإنفاق والإحسان تَرْكُ الرِّبا، ولذلك بَدَأ به، وهو كَالتَّوْطِئة للدَّعوة إلى الإحسان والإنفاق؛ فمعلومٌ أنَّ الإنفاق -بجميعِ طُرُقِه- مِن أعظم ما تَعتمدُ عليه بُنْيَةُ المجتمع الإنسانيّ، وهو الَّذي يَنفخُ روحَ الوحدة فيه، فَتَتَّحِد به قواهُ المُتفرِّقة، فتُنالُ بذلك سعادتُه في الحياة، ويَقْوَى به على دفعِ كلِّ آفَةٍ مُهلكةٍ أو مؤذيةٍ تَتهدّده.

ومعلومٌ أيضاً أنَّ الرِّبا مِن أعظم ما يُضادُّ الإنفاق في خاصَّته هذه. فهذا ما يُرَغِّبُهم اللهُ تعالى فيه، ثمَّ يُرَغِّبُهم في أنْ لا يَنقطعوا عن ربِّهم بِقَواطعِ الذُّنوب والمعاصي، فإنْ أَتوا بما لا يَرضاهُ لهم ربُّهم تداركُوه بالتَّوبة والرُّجوع إليه ثانياً وثالثاً، من غير أن يَكسلوا أو يَتوانَوْا.

وبهذَين الأمرَين يَستقيمُ سَيْرُهم في صِراطِ الحياة السَّعيدة فلا يَضلُّون ولا يقفون فيَهلكوا. وهذا البيان، كما ترى، أحسنُ طريقٍ يُهدَى به الإنسانُ إلى تكميلِ نفسه بعد ظهورِ النَّقص، وأَجودُ سبيلٍ في علاج الرَّذائل النّفسانيّة الّتي ربّما دبَّت في النُّفوس المحلَّاة بالفضائل، فأَوْرَثَت السّفالَ والسّقوطَ، وهدَّدت بالهَلَكَةِ والرَّدى.

التّعليمُ الإلهيّ

من دَأْبِ القرآنِ الكريم في تعليمِهِ الإلهيّ، قرانُ العلمِ بالعمل، إذ لَمْ يَزَلْ يجعل في مدَّةِ نزوله -وهي ثلاث وعشرون سنة- لِكُلِّيّات تعاليمِه موادّ أوَّليّة، حتّى إذا عُمل بشيءٍ منها أخذَ صورة العمل الواقع مادَّةً لتعليمِهم ثانياً، فألقاها إليهم بعد إصلاح الفاسدِ من أجزائه، وتركيبه بالصَّحيح الباقي، وذمِّ الفاسِد، والثَّناء على الصَّحيح المستقيم، والوعد الجميل والشُّكر الجزيل لِفاعِلِه.

فكتابُ اللهِ العزيز كتابُ علمٍ وعملٍ، لا كتابُ فرضٍ وتقديرٍ، ولا كتابُ تعْمِيَةٍ وتقليدٍ. ومَثَله مَثَل المعلِّم يُلقي إلى تلامذته الكلِّيّات العلميّة في أَوْجَزِ بيانٍ وأقصرِ لفظٍ، ويأمُرُهم بالعمل بها، ثمَّ يَأخذ ما عملوه ثانياً، ويُحلِّلُه إلى أوائل أجزائه من صحيحٍ وفاسدٍ، فيُبَيِّن لهم مواردَ النَّقصِ والقُصورِ مُشَفِّعَةً بالعِظَةِ والوَعيدِ،

ويَمدحُ موارِدَ الاستقامةِ والصِّحَّة ويُقارنُها بالوَعدِ والشُّكرِ، ويَأمُرهم بالعملِ ثانياً، وهذا فِعالُهُ حتَّى يكمُلوا في فنِّهم ويَسعدوا في جِدِّهم.

وهذا الَّذي ذكرناه، من الحقائق القرآنيّة اللَّائحة للمُتدبِّر الدَّقيق، فتَراهُ سبحانَهُ -مثلاً- يُنزل كلِّيّات الجهاد في آياته بادئ الأمر: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ..﴾ البقرة:٢١٦، ويَأمرُ المؤمنين به فيها، ثمَّ يأخذ قصَّة بَدْرٍ ثانياً ويَأمرهُم بما يُبَيِّن لهم فيها، ثمَّ قصَّةَ أُحُد، ثمَّ قصَّةً أخرى وهكذا. وتراهُ سبحانَه يقصُّ قَصَص السَّابقين من الأنبياء وأُمَمِهم، ثمَّ يجعلُها بعد إصلاحِها وبيانِ وجهِ الحقِّ فيها، عبرةً للَّاحقين ودستوراً لِعملِهم.

مع الآيات

* قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ ..﴾ آل عمران:١٣٠: المُرادُ بالأكل هَهنا مطلَق التّصرّف في الأموال.

* قوله تعالى: ﴿..أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ..﴾ آل عمران:١٣٠: يُشيرُ إلى الوَصْفِ الغالبِ في الرِّبا، فإنَّه بِحَسَبِ الطَّبع يَتضاعفُ فيَصير المالُ أضعافاً مضاعفةً بإنفادِ مالِ الغيرِ وضمِّه إلى رأسِ المالِ الرِّبويّ.

* قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ آل عمران:١٣١: إشارةٌ إلى كُفْرِ آكِلِ الرِّبا.

* قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ..﴾ آل عمران:١٣٣: المُسارعةُ هي الاشتداد في السُّرعةِ، وهي مَمْدوحةٌ في الخيراتِ ومذمومةٌ في الشُّرور. وقد قُرِنَتِ -في القرآن الكريم- المغفرة بالجنَّة في غالبِ الموارِدِ، وليس ذلك إلَّا لأنَّ الجنَّةَ دارُ طهارةٍ لا تدخلُها قذاراتُ المعاصي والذُّنوبِ وأدرانُها، ولا مَن تَقَذَّرَ بها إلَّا بعد المغفرة والإزالة.

والمغفرةُ والجنَّةُ المذكورتان في هذه الآية تُحاذيان ما في الآيتَين التَّاليتَين؛ أمَّا المغفرةُ فتُحاذي ما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ..﴾ آل عمران:١٣٥، وأمَّا الجنَّة فتُحاذي ما في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ..﴾ آل عمران:١٣٤.

* قولُه تعالى: ﴿..وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ..﴾ آل عمران:١٣٣: فالمُرادُ بالعَرْضِ السِّعة، وهو استعمالٌ شائعٌ، وكأنَّ التَّعبيرَ كنايةٌ عن بلوغِها في السِّعة غايتَها، أو ما لا يَحدُّه الوَهْمُ البشريّ.

* قوله تعالى: ﴿..أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران:١٣٣: كالتَّوطِئة لِذِكر ما يذكرُه بعدُ من أوصاف المُتَّقين؛ فإنَّ الغَرَضَ هو بيانُ الأوصاف الَّتي تَرتبطُ بِحالِ المؤمنين في المَقام، أعني عند نزولِ هذه الآيات وقد نَزَلت بعد غَزْوَةِ أُحُد، وقد جرى عليهم ومنهم ما جرى من الضَّعف والوَهْنِ والمخالفةِ، وهم مع ذلك مُشرفون على غَزَواتٍ أُخَر مثلِها، وحوادث تُشابهُها، وبهم حاجة إلى الاتِّحاد والاتِّفاق والتَّلاؤم.

* قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ..﴾ آل عمران:١٣٤: إلى آخر الآية: السَّرَّاء والضَّرَّاء ما يسرُّ الإنسان وما يَسوؤه، أو اليُسر والعُسر. والكَظْمُ في الأصل هو شدُّ رأسِ القِرْبَة بعد مَلْئِها، فاستُعيرَ للإنسان إذا امْتَلأَ حُزناً أو غَضَباً، والغيظُ هَيَجانُ الطَّبْعِ للانتقامِ بمشاهدةِ كَثرة ما لا يَرتَضيه، بِخِلافِ الغَضب فهو إرادةُ الانتقامِ أو المُجازاة، ولذلك يُقال: غَضِبَ اللهُ ولا يُقال اغْتاظ.

* قولُه تعالى: ﴿..وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران:١٣٤: إشارة إلى أنَّ ما ذَكَرَه من الأوصافِ مُعرِّفٌ لهم، وإنَّما هو معرِّفٌ للمُحسنين في جنبِ النَّاس بالإحسانِ إليهم، وأمَّا في جنبِ الله فمُعرِّفهم ما في قوله تعالى: ﴿..وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الأحقاف:١٢-١٣.

بل هذا الإحسانُ المذكور في هذه الآيات هو المَحْتِد [الأصل] للمذكور في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ..﴾ آل عمران:١٣٤، فإنَّ الإنفاقَ ونحوَهُ إذا لم يَكُن لِوجه الله لم يَكُن له منزلةٌ عند الله سبحانَه.

ويدلّ على ما ذكرناه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت:٦٩، فإنَّ هذا الجهاد هو بَذْلُ الجهد، ولا يكون إلَّا في ما يُخالف هوى النّفس ومُقتَضى الطَّبع، ولا يكون إلَّا إذا كان عندَهم إيمانٌ بأمورٍ يقتضي الجَرْيُ على مُقتضاها والثَّباتُ عليها مقاومةً بإزاء ما يحبُّه طبعُ الإنسانِ وتَشتهيه نفسُه. ولازمُه بِحَسب القَوْل والاعتقاد أن يكونوا قائلين: (ربُّنا الله) وهم مستقيمون عليه، وبِحَسب العمل أن يُقيموا هذا القَوْل بالجهاد في عبادة الله في ما بينهم وبينَ الله، وبالإنفاقِ وحُسنِ العشرةِ في ما بينهم وبين النَّاس. فتحصّل ممَّا ذكرنا: **أنَّ الإحسان إتيانُ الأعمال على وجهِ الحُسْن من جهة الاستقامة، والثَّبات على الإيمانِ بالله سبحانه.**

ألفاظُ القرآن الكريم
وجوهُ المعاني، وأنواعُها

الشّيخ المفيد قدس سره

مختصَر من تمهيدٍ ذكرَه الشّيخ المفيد في مطلع كتابه «التّذكرة بأصول الفقه» في سياق بيانه لأصول الأحكام الشّرعية، حيث قال: «اعلم أنّ أصولَ الأحكام الشّرعيّة ثلاثة أشياء: كتاب الله سبحانه، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وأقوال الأئمّة الطّاهرين عليهم السلام..»، ثمّ شرعَ في بيانِ وجوهِ معاني ألفاظ القرآن الكريم، وأنواعها.

معاني القرآن الكريم على ضربَين: ظاهرٍ وباطِن.

* **الظّاهر**: هو المُطابِق لِخاصّ العبارة عنه، تحقيقاً على عادات أهل اللّسان، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ يونس:٤٤. فالعُقلاءُ العارفون باللّسان، يَفهمون من ظاهر هذا اللّفظ المُرادَ [منه].

* **الباطِن**: هو ما خَرَج عن خاصّ العبارة وحقيقتِها إلى وُجوهِ الاتّساع، فيَحتاجُ العاقلُ في معرفة المُراد من ذلك إلى الأدلّة الزّائدة على ظاهرِ الألفاظ، كَقولِهِ سُبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ..﴾ البقرة:٤٣. فالصّلاة في ظاهر اللّفظ، هي الدُّعاءُ حَسَب المعهود بين أهل اللُّغة، وهي في الحقيقة لا يَصحّ منها «القيام». والزّكاةُ هي النّموّ عندَهم بلا خلاف، ولا يصحّ أيضاً فيها «الإتيان».

وليسَ المُراد في الآية ظاهرُها، وإنّما هو [المراد] أمرٌ «مشروع»، فالصّلاةُ المأمورُ بها فيها، هي أفعالٌ مخصوصةٌ مشتملةٌ على قيامٍ، ورُكوعٍ، وسُجودٍ، وجلوس. والزّكاة المأمور بها فيها، هي إخراجُ مقدارٍ من المال على وجهٍ أيضاً مخصوص، وليس يُفهَم هذا من ظاهرِ القَولِ، فهو الباطنُ المَقصود.

أنواع معاني القرآن

وأنواعُ أُصول معاني القرآن أربعة:

أَحَدها: الأمرُ، وما استُعيرَ له لفظُه. وإذا وَرَد الأمرُ مقيّداً بصفةٍ يخصُّ بها بعضَ المكلَّفين، فهو مقصورٌ على ذي الصّفة، غير متعدِّية إلى غيره إلّا بدليل، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ المدّثر:١-٢.

وإذا وَرَد بصفةٍ تتعدّى المذكور إلى غيره من المكلَّفين، كان متوجّهاً إلى سائرهم على العموم، إلّا ما خَصَّصه الدّليل، كَقولِه عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ..﴾ الطّلاق:١.

والأمرُ بالشّيء لا يكون إلّا قبلَه لاستحالة تعلُّق الأمر بالموجود، ويَصحُّ توجُّهُ الأمر إلى مَن يُعلمُ مِن حالِه أنّه يعجز في المستقبل عمّا أُمِرَ به، أو يُحال بينَه وبينه، أو يُخترَم [يموت] دونَه، لِما يَجوزُ في ذلك من مصلحة المأمورِ في اعتقادِه فعلَ ما أُمِرَ به، واللُّطفِ له في استحقاقه الثّواب على نيّتِه، وإمكانِ استصلاح غيره من المكلَّفين بأمرِه.

الثّاني: النّهي، وَلَهُ صورة في اللّسان محقَّقةٌ يتميّز بها عن غيره، وهي قولك: «لا تفعل»، إذا وَرَد مطلقاً. والنّهيُ في الحقيقة لا يكونُ منك إلّا لِمَن دونك، كالأمر. والنّهيُ موجِبٌ للتّرك المُستدام ما لم يكن شرطٌ يُخصّصه بحالٍ [من الأحوال].

الثّالث: الخبر، وَهو ما أمكنَ فيه الصّدقُ والكَذِب، وله صيغةٌ مبيّنةٌ يَنفصل بها عمّا يخالفُه في معناه. وقد تُستعار صيغتُه في ما ليس بخبر، كما يُستعار غيرُهما من صِيَغِ الحقائق في ما سواه على وجه الاتّساع والمجاز. قال الله عزّ وجلّ: ﴿..وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ..﴾ آل عمران:٩٧، فهو لفظٌ بصيغةِ الخبر، والمُراد به الأمر: «يُؤمَّن مَن دخلَه».

الرّابع: العامُّ والخاصّ. والعامّ في معنى الكلام: ما أفادَ لفظُه اثنين فما زاد.

والخاصّ: ما أفاد واحداً دونَ ما سِواه، لأنّ أصلَ الخصوص التّوحيد، وأصلَ العُموم الاجتماع. وقد يُعبَّر عن كلّ واحدٍ منهما بلفظ الآخر تشبُّهاً وتجوُّزاً. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر:٩. فعبَّرَ عن نفسِه سُبحانه، وهو واحدٌ، بلَفظِ الجميع. وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ آل عمران:١٧٣. وكان سببُ نزولِ هذه الآية، أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام قُبيل وَقعةِ أُحُد: «إنّ أبا سفيان قد جَمَع لكم الجُموع»، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «**حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيل**». (مختصَر)

موجز في التّفسير

سورةُ الصّافّات

من دروس «المركز الإسلامي»

* **السُّورة السّابعة والثّلاثون في ترتيب سوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة «الأنعام».**
* **آياتُها مائة واثنتان وثمانون، وهي مكّيّة، يُحفظُ قارئُها من الآفات، والبلاء، ويكونُ بريئاً من الشِّرك.**
* **سُمِّيت بـ «الصافّات»، لابتدائها بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ الصافات:١.**

في (التّفسير الكاشف) للشّيخ محمّد جواد مغنيّة أنّ المفسّرين اختلفوا في معنى «**الصّافّات**» و«**الزّاجرات**» و«**التّاليات**» الواردة في الآيات الثلاث الأُوَل من السّورة. فمنهم مَن قال: إنّها الملائكة. ومنهم مَن قال: الصّافات هي جماعةُ المؤمنين تَصطفّ في الصّلاة وفي الجهاد، والزّاجرات زواجرُ القرآن وآياتُه، والتّاليات قرّاءُ القرآن يَتلونه في الصّلاة وغيرها.

وغيرُ بعيدٍ أن يكون المُراد بالأنواع الثّلاثة [أولئك] الّذين ذكرَهم الإمام عليّ عليه السلام في الخطبة الأولى من (نهج البلاغة). قال صلوات الله عليه في وصف الملائكة: **فَمِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ**، أي ثابتون في أماكنِهم. فجائزٌ أن يكون قولَه عليه السلام: «**وصافّون لا يَتزايلون**» إشارةً إلى ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ الصّافات:١.

هدفُ السُّورة

«**تفسير الميزان**» **للعلّامة الطّباطبائيّ**: في سورة الصّافّات:

١- احتجاجٌ على التّوحيد. [الآيات: ١ - ١٧]

٢- وإنذارٌ للمُشركين. [الآيات: ١٨ - ٣٩]

٣- وتبشيرٌ للمُخلِصين من المؤمنين. [الآيات: ٤٠ - ٦١]

٤- وبيانُ ما يؤول إليه حالُ كلٍّ من الفريقَين. [الآيات: ٦٢ - ٧٤]

٥- ثمّ ذِكْرُ عدّةٍ من العباد المؤمنين ممّن مَنَّ اللهُ تعالى عليهم وقضى أنْ يَنصرهم على عدوِّهم. [الآيات: ٧٥ - ١٤٨]

٦- وفي خاتمة السُّورة ما هو بمنزلة مُحصّل الغرض منها، وهو تنزيهه عزَّ وجلَّ، والسَّلام على عباده المُرسَلين، وتحميدُه تعالى في ما فعل. [الآيات: ١٤٩ - ١٨٢]

محتوى السُّورة

«**تفسير الأمثل**» **للشّيخ مكارم الشّيرازيّ**: يُمكن تلخيص محتوى سورة الصافّات في خمسة أقسام:

القسم الأوّل: يَبحثُ حولَ مجاميع من ملائكة الرَّحمن، ومجموعة من الشَّياطين المُتمرِّدين ومصيرِهم.

القسم الثّاني: يَتحدّث عن الكافرين وإنكارهم النُّبوّة والمَعاد، والعقاب الّذي يَنتظرهم يوم القيامة، كما يَستعرضُ الحوار الذي يدور بينهم في ذلك اليوم، ويُحمِّلهم جميعاً مسؤوليّة الذَّنب والعذاب الإلهيّ الّذي سَيَشملهم، كما يشرح هذا القسم جوانبَ من النِّعم الموجودة في الجنّة، إضافة إلى ملذّاتِها، وجمالِها، وسُرورِ أهلِها.

القسم الثّالث: يَشرحُ، بصورةٍ مختصرةٍ، تاريخ أنبياء الله تعالى: نوح، وإبراهيم، وإسحاق، وموسى، وهارون، وإلياس، ولوط، ويونس عليهم السلام، وبصورةٍ ذات تأثير قويّ. كما يَتحدّثُ هذا القسم بشكلٍ مُفصّلٍ عن النّبيّ إبراهيم عليه السلام مُحطِّم الأصنام، وعن جوانب مختلفة من حياته.

القسم الرّابع: يُعالجُ صورةً معيّنةً من صُوَرِ الشِّرك، هي أسوأُ صُوَرِه، وهو الاعتقاد بوجود رابطة قرابة بين الله سبحانه وتعالى والجنّ والملائكة، ويُبيِّن بطلان مثل هذه العقائد التّافهة بآياتٍ قصار.

القسم الخامس: يؤكّدُ حتميّةَ انتصارَ جيوش الحقّ على جيوش الكُفر والشِّرك والنِّفاق، وابتلاءَهم -أي الكافرين والمُشركين والمنافقين- بالعذاب الإلهيّ، وتُنزّه آياتُ هذا القسم اللهَ سبحانه وتعالى، وتُقدّسه عن الأشياء التي نَسَبها المُشركون إليه، ثمّ تنتهي السُّورة بالحمد والثّناء على الباري عزَّ وجلَّ.

ثوابُ تلاوتها

«**تفسير مجمع البيان**» **للشّيخ الطّبرسيّ**: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مَن قرأ سورة الصّافّات أُعطيَ من الأجرِ عشرَ حسناتٍ، بعددِ كلِّ جنٍّ وشيطانٍ، وتَباعدت عنه مَرَدَةُ الشَّياطين، وبَرئ من الشِّرك، وشَهدَ له حافِظاه يومَ القيامةِ أنّه كان مؤمناً بالمُرسَلين**».

«ثواب الأعمال» للشّيخ الصّدوق: عن الإمام الصّادق عليه السلام: «مَن قَرأ سورة الصَّافّات في كلّ جمعة لم يزَلْ محفوظاً من كلّ آفّة، مدفوعاً عنه كلُّ بليّة في حياته الدُّنيا، مرزوقاً في الدُّنيا بأوسعِ ما يكون من الرِّزق، ولم يُصبْه اللهُ في مالِه، ولا ولدِه، ولا بَدَنِه بسوءٍ من شيطانٍ رجيمٍ، ولا جبّارٍ عنيدٍ، وإنْ مات في يومه أو ليلته بَعَثَهُ اللهُ شهيداً، وأَمانَهُ شهيداً، وأَدخَلَهُ الجنّة مع الشُّهداء في درجةٍ من الجنّة».

«تفسير نور الثّقلين» للشّيخ الحويزيّ: عن سليمان الجعفريّ قال: «رأيتُ أبا الحسن [الإمام الكاظم] عليه السلام يقول لابنِه القاسم: قُم، فاقرأ عند رأس أخيك «والصَّافّاتِ» حتّى تَستتمَّها. فقرأ، فلمّا بلغ ﴿.. فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ..﴾ الصافات:١١، قضى الفتى. فلمّا سُجّي، وخرجوا، أقبل عليه يعقوب بن جعفر [من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام]، فقال له: كنّا نعهدُ الميّتَ إذا نزلَ به الموت، يقرأ عنده ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ يس:١-٢، فصرتَ تأمرُنا بالصّافّات، فقال: يا بنيّ، لم تُقرَأ عند مكروبٍ من موتٍ قطّ، إلّا عجّلَ اللهُ راحَتَه».

تفسيرُ آياتٍ من السّورة

بعد ذكر الآية الكريمة، نوردُ ما رُويَ من الحديث الشّريف في تفسيرها نقلاً -باستثناء الآية ١٣٠- عن (تفسير نور الثّقلين) للمحدِّث الشّيخ عبد عليّ الحويزيّ رضوان الله عليه.

- قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ الصافات:٢٤.

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة ونُصب الصِّراطُ على جهنّم، لم يَجُزْ عليه إلّا مَن معه جوازٌ فيه ولايةُ عليّ بن أبي طالب، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ الصافات:٢٤، يعني عن ولايةِ عليّ بن أبي طالب».

** وعنه صلى الله عليه وآله: «أوّلُ ما يَسألُ اللهُ عنه العبدَ حبّنا أهلَ البيت».

*** الإمام الصّادق عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى إذا جَمَعَ العِبادَ يومَ القيامة، سَأَلَهُم عمّا عَهِدَ إليهم، ولَمْ يَسألْهُم عمّا قَضى عليهم».

- قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ الصافات:٨٨.

* سُئل الإمامُ الصّادق عليه السلام: ما تقولُ في عِلْمِ النُّجوم؟ فقال: «هو علمٌ قَلَّت منافعُهُ وكثُرت مَضارُّه، لأنّه لا يُدفَعُ به المَقدور، ولا يُتّقى به المَحذور، إنْ خبَّرَ المُنجّمُ بالبلاءِ لم يُنجِه التَّحرُّز من القضاء، وإنْ خبَّر هو بخيرٍ لم يَستَطِع تعجيلَه، وإن حدَثَ به سوءٌ لم يُمكنْه صرْفَه، والمنجّمُ يُضادُّ اللهَ في عِلمِه بِزعمِه أنّه يردُّ قضاءَ اللهِ عن خَلْقِه».

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الصافات: ١٣٧-١٣٨.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «تَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ إِذَا قَرَأْتُمُ الْقُرْآنَ، فاقرأوا مَا قَصَّ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنْ خَبَرِهِمْ».

- قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ الصافات:١٣٠.

* الإمام المهديّ عليه السلام: «إذا أَردتم التّوجهَ -بنا- إلى الله تعالى وإلينا فقولوا: سلامٌ على آلِ يس.. الزّيارة». ويُستفاد من كلامِ بعض أهل العبادة، أنّ هذه الزّيارة، وزيارة «سلامُ اللهِ الكاملُ التّامّ» طريقٌ إلى التّشرُّفِ بلقائه صلوات الله عليه.

** «تفسير مجمع البيان»: «قرأ ابنُ عامر ونافع ورويس عن يعقوب: (آل يس) بفتحِ الألِف وكَسْرِ اللّام المقطوعة من (ياسين)، والباقون: (إلياسين) بكسرِ الألِف، وسكون اللّام موصولةً بياسين».

- قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات: ١٦٤.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «أُنزِلَت في الأئمّةِ والأوصياء من آلِ محمّدٍ عليهم السلام».

- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ الصافات: ١٦٥-١٦٦.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «نحنُ شجرةُ النُّبوّة، ومَعدِنُ الرِّسالة، ومُختَلَفُ الملائكة، ونحنُ عهدُ اللهِ وذِمّتُه، ونحنُ ودائعُ الله وحُجّتُه، كنّا أنواراً صفوفاً حول العرش نُسبِّح، فَسَبَّح أهلُ السَّماء بِتَسبيحِنا إلى أنْ هَبَطْنا إلى الأرض، فَسَبَّحنا، فَسَبَّحَ أهلُ الأرضِ بِتَسبيحِنا، وإنّا لَنحنُ الصَّافّونَ وإنّا لَنحنُ المُسبِّحون، فمَن وَفى بذمّتِنا فقد وَفى بعهدِ اللهِ عزَّ وجلَّ وذِمّتِه، ومَن خَفَرَ ذمّتَنا فقد خَفَرَ ذمّةَ اللهِ عزَّ وجلَّ وعهدَه».

- قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الصافات: ١٨٠.

* الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ أرادَ أنْ يَكتالَ بالمكيالِ الأوْفى فليَقُل إذا أراد أنْ يَقومَ من مَجلسِه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الصافات:١٤٠-١٤٢».

** الإمام الصّادق عليه السلام قَالَ: «تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام؛ إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَكَبِّرِ اللهَ أَرْبَعاً وثَلَاثِينَ، واحْمَدْه ثَلَاثاً وثَلَاثِينَ، وسَبِّحْه ثَلَاثاً وثَلَاثِينَ، وتَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، والْمُعَوِّذَتَيْنِ، وعَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَّاتِ وعَشْراً مِنْ آخِرِهَا».